"العباب الزاخر واللباب الفاخر"

مؤلف هذا السفر العظيم هو الشيخ الإمام رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغاني ولد سنة ٥٧٥هـ بمدينة لاهور وهي مدينة ثقافية تاريخية من مدن باكستان، وتوفي سنة ٦٥٠هـ بمدينة بغداد ونقل جثمانه منها ودفن بمكة حسب وصيته.

كان رحمه الله من أبرز علماء عصره، ويروى أن الملك قطب الدين أيبك عرض عليه قضاء لاهور ولكنه اعتذر عن ذلك كدأب العلماء المتقدمين الذين آثروا العكوف على العلم على الاشتغال بالمناصب ويروى إنه كان معلماً لعز الدين الوزير العلقمي، فكان يدرسه في دار الخلافة.

وللإمام الصَّغاني تلاميذ كثيرون أهمهم الحافظ الدمياطي وهو شيخ شمس الدين الذهبي صاحب **تذكرة الحفاظ**.

وله مؤلفات كثيرة أهمها معجم **العباب الزاخر واللباب الفاخر**، والذي ألفه للوزير مؤيد الدين ابن العلقمي - كما ذكر في المقدمة- بالإضافة إلى مؤلفات أخرى في اللغة وفي علوم القرآن والحديث والفقه.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

بدأ الصَّغاني في تأليف هذا المعجم الضخم بعد أن أصبح العلقمي وزيراً للمستعصم سنة ٦٤١ أو ٦٤٢هـ، ولكنه لم يكمله فقد وصل إلى (بكم)؛ باب الميم فصل الباء حين وافته المنية، وظل الكتاب ناقصاً إلى هذا اليوم.

يقول الإمام السيوطي عن هذا الكتاب: "وأعظم كتاب ألف في اللغة بعد عصر الصحاح كتاب المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن سيده الأندلسي الضرير ثم كتاب العباب للرضي الصاغاني"، وقال عنه الإمام الذهبي: "إليه منتهى اللغة"، وقال الدمياطي عن المؤلف: "كان إماماً في اللغة والفقه والحديث"، وقال ابن أبي مخرمة: "وله كتاب **العباب** الذي لم يصنف مثله في اللغة"، وقال ابن الطقطقي: "وهو كتاب عظيم كبير في لغة العرب".

والحق أن العباب ليس من أعظم المعاجم في اللغة العربية فحسب بل إنه يشتمل على ثروة قيمة من المعلومات العلمية الأخرى قلما نجدها في المعاجم، فقد حوى مواد وتراكيب وأسماء شعراء ومحدثين وصحابة وأضاف كثيرا من الشواهد، وقد تقبله العلماء بقبول حسن وأثنوا عليه بما هو أهله.

أما المنهج الذي سلكه الإمام الصَّغاني في **العباب** فيختلف عن منهج سابقيه فهو يثبت فيه ما هو صواب من أول الأمر ولا يذكر الخطأ الذي وقع فيه غيره. ثم إذا كان غيره من اللغويين نسبوا شعراً إلى شاعر خطأ فهو ينسبه إلى قائله دون الإشارة إلى أخطاء الأخرين.

وذكر الإمام الصَّغاني في مقدمة **العباب** أنه عند تأليفه هذا المعجم استفاد من كتب كثيرة وقرأ دواوين عديدة وصلت إلى عدة آلاف.

والفرق بين الإمام الصَّغاني وغيره من أصحاب المعاجم الذين سبقوه أن هؤلاء أخذوا اللغة عن العرب وعن أهل البادية، أما الإمام الصَّغاني فقد أخذ اللغة عن الكتب وإن لم يعدم الاختلاف إلى أهل البوادي مدة إقامته في مكة ولكن هذا القدر لم يكن كافياً لتأليف معجم ضخم كالذي نحن بصدده. وهذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على ذهنه الوقّاد وذاكرته القوية وبصيرته الثاقبة وعلمه الغزير ومعرفته الواسعة لشتى الفنون والآداب.

ومما يتميز به **العباب**:

١- ذكر المواد في مواضعها وقد ذكرها بعض أصحاب المعاجم في غير مواضعها.

٢- نسبة الشعر إلى قائله.

٣- تصحيح الروايات الشعرية.

٤- الضبط بالحروف وعدم الاكتفاء بالضبط بالشكل.

٥- تصحيح أسماء الشعراء.

٦- تصحيح أسماء الصحابة والتابعين والمحدثين.

٧- ذكر أسماء الخيل وأسماء أصحابها.

٨- ذكر أسماء السيوف وأسماء أصحابها.

٩- ذكر البلدان والمياه والبقاع وضبطها.

١٠- تصحيح أخطاء وقع فيها من سبقه من علماء اللغة.

١١- ذكر الروايات الصحيحة أولاً ثم ذكر النسبة الصحيحة لها دون الإشارة إلى الأخطاء التي وقع فيها الآخرون.

١٢- الإكثار من الشواهد، فنجد في **العباب** شواهد لا توجد في المعاجم الأخرى.

١٣- ذكر طرف وملح وعجائب غير موجودة في المراجع الأخرى.

وقد قام الدكتور/ پير محمد حسن المخدومي رئيس قسم الأدب العربي بالجامعة الإسلامية في بهاولبور- باكستان سابقاً بتحقيق هذا المخطوط العظيم معتمداً في ذلك على خمس نسخ إحداها في آيا صوفيا والثانية بالخزانة الملكية بالرباط والثلاثة الباقية في كوبريلي. وصور جميع هذه المخطوطات موجودة في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد. وقد صدر هذا السفر العظيم في ستة مجلدات. طبع منها حتى الآن أربع وبقي اثنان تحت الطبع وذلك تحت إشراف المجمع . فجزى الله المؤلف والمحقق خير الجزاء على ما بذلا من مجهود عظيم ونفع به الأمة الإسلامية. وجعل في ميزان حسناتها يوم القيامة.